



• على أهلها تجني براقش

قصص وحكايات.. صارت أمثالا

جواربها عبثن ليلة فدخل فجاء الجند فلما اجتمعوا قال لها نصحاؤها: انك إن رددتهم ولم تستعملهم في شيء ودخنتهم مرة أخرى لم ياتك منهم أحد فامرتهم فبنوا بناء دون دارها فلما جاء الملك سأل عن البناء فاخبروه بالقصة فقال: «على أهلها تجني براقش». وهناك أيضا قصة ثالثة لهذا المثل تقول: إن «براقش» امرأة لقمان بن عاد وكان لقمان من بني ضد وكانوا لا يأكلون لحوم الإبل فأصاب من براقش غلاما فنزل مع لقمان في بني أبيها فأولموا ونحروا الجزر فراح ابن براقش إلى أبيه بعرق من جزور فأكله لقمان فقال: «يا بني ما هذا؟ فما تعرقت - قط - طيباً مثله» فقال الغلام: «جزور تحرها أخوالي» فقال: «وإن لحوم الأبل في الطيب كما أرى؟» فقالت براقش: «جملنا واجتعل» فأرسلتها مثلا والجميل الشحم المذاب ومعنى جملنا أي أطعمنا الجميل واجتعل أي اطعم أنت نفسك منه وكانت براقش أكثر قومها إبلا فأقبل لقمان على إبلاها فأسرع فيها وفي إبل قومها وفعل ذلك بنو أبيه لما أكلوا لحوم الجزور فقيل: «على أهلها تجني براقش» ويضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره إليه.

الخاتمة

وفي النهاية نقول هذا غيض من فيض لحكايات بعض الأمثال الشعبية الشهيرة بين الناس أردنا - من خلال عرضها - تعريف القارئ الكريم بحكاياتها الأمر الذي يتطلب من المهتمين والدراسين لتراثنا المزيد من الدراسات والبحوث لإخراج هذه الدرر والكنوز من أصدافها وتقديمها في ثوب قشيب يليق بعظمة وروعة تراثنا العربي.

المسجد وعلى يدها طبق مغطى بمندبل فقال معها جراد فكان كما قال فسئل فقال: «رأيتته خفيفا على يدها». وقد بلغ إياس شهرة عظيمة في شدة الذكاء ورجاحة العقل حتى صار مضرب الأمثال.

٥ - إنما نعطي الذي أعطينا وقصة هذا المثل إن رجلا كانت امرأته تلد إنثاء فولدت له في أول مرة جارية فصبر ثم ولدت جارية فهجرها وتحول عنها إلى بيت قريب منها فلما رأت منه ذلك انشدت تقول:

ما لأبي الذلفاء لا يأتينا وهو في البيت الذي يلينا يغضب إن لم نلد البئينا وإنما نعطي الذي أعطينا فلما سمع الزوج هذا الشعر من زوجته طابت نفسه ورجع إليها فصار مثلا يضرب في الاعتذار عن الشيء الذي لا يملكه الفرد.

٦ - على أهلها تجني براقش ونختم جولتنا مع هذا المثل الشهير: «على أهلها تجني براقش» والذي اختلف الرواة حوله فورد في كتب الأمثال بصيغ متعددة رأينا أن نسردها جميعا لتعم الفائدة والنفع والقصة الأولى تقول: «إن براقش كانت كلبة لقوم من العرب فأغبر عليهم فهربوا ومعهم براقش فاتبع القوم آثارهم برباح براقش فجمعوا عليهم فقتلوهم قال حمزة بن بيض في ذلك: لم تكن عن جنابة لحقتني لا يساري ولا يميني رمثني بل جناها أخ علي كريم وعلى أهلها براقش تجني ويذكر الميداني في مجمع الأمثال قصة أخرى لهذا المثل تقول: إن براقش امرأة لأحد الملوك فسافر الملك واستخلفها وكان لهم موضع إذا فزعوا دخنوا فيه فإذا أبصره الجند اجتمعوا وأن

الذكاء تولى قضاء البصرة سنة في عهد عمر بن عبد العزيز ومما ورد في حدة ذكائه وشدة فراسته أنه سمع نباح كلب لم يره فقال: «هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر» فنظروا فكان كما قال فقيل له: «كيف عرفت ذلك؟» فقال: «سمعت عند نباحه دويما من مكان واحد ثم سمعت بعده صدى يجيبه فعلمت أنه عند بئر». ومن موافقه أيضا التي تدل على شدة فراسته أنه تقدم إلى إياس أربع نسوة فلما قمن على إياس قال أما إن إحداهن حامل والأخرى مرضع والأخرى بكر والأخرى ثيب فنظرن إلى ذلك فوجدته كما قال قالوا: «كيف عرفت؟» قال: «أما الحامل فكانت تكلمني وترفع ثوبها عن بطنها فعلمت أنها حامل وأما المرضع فكانت تكلمني وتضرب ثديها فعلمت أنها مرضع وأما الثيب فكانت تكلمني وعيناها في عيني فعلمت أنها ثيب وأما البكر فكانت تكلمني وعيناها إلى الأرض لا ترفع طرفها فعلمت أنها بكر» ومما ورد أيضا عن ذكائه وفراسته أنه رأى جارية في

الأمثال التي تجري على ألسنة الحيوانات والطيور التي تتخذ صفات عاقلة مفكرة فيها جوانب العظة والاعتبار ومنها هذا المثل الشهير: «في بيته يؤتى الحكم» وقصة هذا المثل تقول: «قالوا إن الأرنب التقطت ثمرة فاختلستها الثعلب فأكلها فانطلقا يختصمان إلى الضب فقالت الأرنب: «يا أبا الحسل» فقال: «سميعا دعوت» قالت: «أتيناك لنختصم إليك» قال: «عادلا حكمتما» قالت: «فاخرج إلينا» قال: «في بيته يؤتى الحكم» قالت: «إني وجدت ثمرة» قال: «حلوة فكليها» قالت: «فاختلستها الثعلب» قال: «لنفسه بغى الخير» قالت: «فلطمته» قال: «بحقك أخذت» قالت: «فلطمني» قال: «حر انتصر» قالت: «فاقضى بيننا» قال: «قد قضيت» فذهبت أقواله كلها أمثالا.

٤ - أذكي من إياس وهو مثل يضرب عندما يتصف إنسان بحدة الذكاء وصدق الحدس وشدة الفراسة وقصة هذا المثل هو أن إياس بن معاوية بن قرة المزني كان قاضيا شديدا جزاء سنمار وما كان ذا ذنب..

٢ - رجع بخفي حنين وقصة هذا المثل تقول: «إن حنيئا كان إسكافيا من أهل الحيرة فسأومه أعرابي بخفين فاختلفا حتى أغضبه فأراد غيظ الأعرابي فلما ارتحل الأعرابي أخذ حنين أحد خفيه وطرحه في الطريق ثم ألقى الآخر في موضع آخر فلما مر الأعرابي بأحدهما قال: ما أشبه هذا الخف بخف حنين! ولو كان معه الآخر لأخذته ومضى فلما انتهى إلى الآخر ندم على تركه الأول وقد كمن له حنين فلما مضى الأعرابي في طلب الأول عمد حنين إلى راحلته وما عليها فذهب بها وأقبل الأعرابي وليس معه إلا الخفان فقال له قومه: ماذا جئت من سفر؟ فقال: «جئتكم بخفي حنين» فذهبت مثلا يضرب لمن يرجع الإنسان خائبا.

٣ - في بيته يؤتى الحكم حفل التراث العربي بالعديد من

يضرب عندهما يبذل شخص لأخر معروفا أو صنيعا جيدا وبدلا من أن يقابل هذا الصنيع بالجزاء الحسن نجد أن صاحبه يقابل بالكران لينال عكس ما قدم وقصة هذا المثل تقول: إن «سنمار» هذا رجل رومي بني «الخوزنق» الذي بظهر الكوفة للنعمان بن امرئ القيس فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه فخر ميتا وإنما فعل ذلك لثلايبي مثله لغيره.. وهناك قصة أخرى لهذا المثل تقول: إن سنمار هو الذي بنى أطم أحيحة ابن الجلاح فلما فرغ منه قال له أحيحة: «لقد أحكمته قال: «إني لأعرف فيه حجرا لونزع لتقوض من عند آخره فسأله عن الحجر فأراه موضعه فدفعه أحيحة من فوق الأطم فخر ميتا فضربت العرب به المثل لمن يجزي بالإحسان الإساءة قال الشاعر:

جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا جزاء سنمار وما كان ذا ذنب..

٢ - رجع بخفي حنين وقصة هذا المثل تقول: «إن حنيئا كان إسكافيا من أهل الحيرة فسأومه أعرابي بخفين فاختلفا حتى أغضبه فأراد غيظ الأعرابي فلما ارتحل الأعرابي أخذ حنين أحد خفيه وطرحه في الطريق ثم ألقى الآخر في موضع آخر فلما مر الأعرابي بأحدهما قال: ما أشبه هذا الخف بخف حنين! ولو كان معه الآخر لأخذته ومضى فلما انتهى إلى الآخر ندم على تركه الأول وقد كمن له حنين فلما مضى الأعرابي في طلب الأول عمد حنين إلى راحلته وما عليها فذهب بها وأقبل الأعرابي وليس معه إلا الخفان فقال له قومه: ماذا جئت من سفر؟ فقال: «جئتكم بخفي حنين» فذهبت مثلا يضرب لمن يرجع الإنسان خائبا.

٣ - في بيته يؤتى الحكم حفل التراث العربي بالعديد من

الأمثال هي حكمة الشعوب ورواة الأمم التي تعكس أحاسيس الناس على مختلف مستوياتهم وهي المتفلسف الوحيد لمشاكلهم المعبر عن همومهم.

كما أن الأمثال حصيلة تجارب متعاقبة ضمّنها الإنسان معاناته وفلسفته في الحياة يقول الماوردي في «أدب الدنيا والدين»: «وللأمثال من الكلام موقع في الأسماع وتأثير في القلوب لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ولا يؤثر تأثيرها لأن المعاني فيها لائحة والشواهد بها واضحة فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله..» ويقول ابن عبد ربه عنها: «إنها وشي الكلام وجوهر اللفظ في كل زمان وعلى كل لسان فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة» كما يصف إبراهيم النظام المثل بقوله: «يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة وهو نهاية البلاغة».

وبداية قبل أن نتعرف على بعض القصص والحكايات التي أصبحت أمثالا مشهورة في تراثنا العربي نؤكد على حقيقة مهمة هي: «أن الأمة العربية قد عرفت القصص منذ أن حققت وجودها بالكلمة والخبر وليس صحيحا ما استقر في أذهان البعض من أن العقلية العربية تنزع بفطرتها إلى التجريد وتناى بجانبها عن التجسيم والتشخيص».

ونتعرف الآن على قصص وحكايات بعض الأمثال الشعبية لنعرف أن لكل مثل قصة أدت لنشوء هذا المثل وانتشاره بين الناس عبر عصور مختلفة.

١ - جزاء سنمار ونبدأ الرحلة مع قصة المثل الشهير: جزاء سنمار والذي



• رجع بخفي حنين